القصة الثالثة والعشرون ـ المتسول

شذى سيف

دائما كان يرافقني ظلا ، كما فيه شيء من ثقل الكهولة ،كنت أحس أنّ شيئا به يلفتني ،شاب متسول يجلس دائما بجانب الدكان المجاور لبيتنا ،فيه سحر من ملائكة ونظرة من شياطين ،كان الجميع يتجنبه إلا أنا .

لم أجد شيئا سيئا به واعتدت على وجوده ،كنت أراقبه ينتشي ـ بعد كل ورقة نقدية تعطى له ،لقد كان مختلفا ،للحد الذي جعلني أفكر ،كيف لشاب مثله أن يتسول ،وليس من العدل تماما أن لايكون لمثله بيت أو عائلة .

ولطالما كنت أؤمن بعطاء القلب ،وكنت أؤمن أنّ المال ليس عطاء بل هو اسكات فم لاأكثر ،وأن القلب يجوع فيلتهم كل خرافة وتفاهة تنادي بالحب !

كنت أفكر به كثيرا ،لقد استحوذ على يومي ،راقبته ،احتسبت ابتساماته،تابعت حركاته ، شغفت بصوته وآه ماأجمل صوته!

بت أنا المتسولة وبات هو الغني بحبي له ،أتسول لحظة لقاء تجمعني به،أعطيه قطعة نقدية لأرى ابتسامته،أشتري من الدكان ماأحتاج ومالاأحتاج كي أحظى بلقاء ، لربما كان من الجنون أن تحب فتاة مثلي متسولا ، ولكنني لم أتخيل للحظة أنه متسول،لقد كان أنيقا ،غيورا،شهما ،صاحب نظرة ثاقبة هكذا رأيته أنا .وفي يوم كان الهطل شديدا وتجنب الناس الخروج إلى الشوارع ،وهو جالس إلى داخل الدكان قليلا ،

قررت الخروج فابتل ثوبي وشعرت بارتجاف لخافقي كطائر بلله المطر ،خطر ببالي كيف يكون حاله الآن حزينا بائسا يشعر بالبرد والوحدة ،اتجهت إلى الدكان وكان الجميع منشغلا بنفسه كيوم القيامة فجاءت سيارة مسرعة بللت ثوبي فصرخت وبكيت ولمت وعاتبت ولاأحد يكترث للمجنونة التي خرجت في هذا الوقت تشتري من الدكان!

جاء راكضا نحوي ،كغمامة فرح ناولني معطفه ، لأول مرة منذ كنت طفلة في أحضان أمي لم أحس بدفء كدفء معطفه !

كنت أريد أن أصرح له بحبي ،باهتمامي ،

أريد سؤاله عن اسمه أو عمره أو عنوانه ، ضحك وكأنه أحس بما شعرت وقال :أنا ياجميلة لاأتسول الحب لأنني بفقري لاأستطيع أن أعطيه !أنا شاب فقير بائس حزين لايتزوج ولن ينجب خوفا على أبنائه منه ...ما اسمك سيدي ؟

متسول !عمرك ؟

بعمر خبرتي في هذه الحياة.

عنوانك ؟

مقابل نافذة أجمل فتاة في الحي !

لماذا لاتعمل ؟

لأنني عاجز .

ومم العجز ؟من فقري ووحدتي ..أتسمح لي بعبارة ؟

تفضلي

العجز بنا ياسيدي.

لكنني وحيد فقير .

لكنك بأحلامك غني وبابتسامتك مثير.

سأعدك أن أعود وقد سرقت بنكا كي أحظى بك .

عدني أن تصبح أفضل ،عدني أن تترك التسول وتبحث عن وظيفة .

أعدك .

كان آخر لقاء لي به قبل عام، وفي صيف عام ٢٠١٦ رأيته بهيئة مختلفة زائرا للحي بسيارة فارهة ، رآني ولوح لي ونزلت مسرعة ،

كيف حالك ياجميلتي؟ أنا بخير كيف حالك أنت؟ الحمد لله،ألم تتزوجي بعد؟

لا، أنا لاأتزوج إلا متسولا !

هل تعلمين أمرا ؟

لم أكن متسولا للنقود ، لقد كنت متسولا للحب وللاهتمام ،فأنت أعطيتني ماعجز عنه الكثيرون ، لقد أعطيتني قلبا وحبا ،وسأعطيك حبا واهتماما ،تستحقين أنت أن تكوني زوجتي وحبيبتي وعشيقتي ، أنا المتسول في بحر عينيك .

وأنا ياسيدي المتسولة في بحر رجولتك